روز اليوسف

صحيفة أسبوعية أدبية مصورة

سياسية

أكتوبر

1925

2020

إحسان عبد القدوس

أسطورة روزاليوسف

الكاتب المصرى صحّى شعبنا النعسان

وعلمه كلمة "الحرية" و "الإنسان"

وكلمة "الثورة" أهداها لكل لسان

عاشت بلادنا وعاش الكاتب المصرى

وعشت للشعب كاتب مصرى يا إحسان

صلاح جاهين

٢٤/٨/١٩٥٥

96

سنة حرية

روزا 2

روزاليوسف

كان المفروض أن أكتب على هذه الصفحة قصة أمى السيدة روزاليوسف.. القصة التى لا يعلمها بعد اللّه إلا اثنان من الأحياء: السيدة روزاليوسف وأنا.. قصة الفتاة الصغيرة التى لم تتجاوز السابعة من عمرها والتى استقرت فى مصر لتمزج دمها بترابها وتخط بأناملها الرقيقة على صفحات التاريخ خطوطا ستبقى ما بقى التاريخ..

وأمى تعلم أن من بين عيوبى أنى أتقمص أحيانا شخصية الفرزدق فأتمادى فى التفاخر بأبى وأمى- وهذا من العيوب الحميدة!- وتعلم أن قصتها ما يحق لى أن أزهو به بين الناس، وهى لا تريد أن تحرمنى هذه المتعة- متعة الزهو- ولا تريد فى الوقت نفسه أن تفاخر بأيامها فلا تجد إلا أن تعدنى من عام إلى عام، وأن تنظر إلىّ كما اعتادت أن تنظر إلىّ دائمًا، نظرتها إلى طفل يتعجل ارتداء بدلة العيد!.. النظرة التى لا حرمنى الله منها أبدًا..

وأمسكت قلمى عن كتابة القصة- خضوعًا لأمر السيدة روزاليوسف صاحبة المجلة وإرضاءً للسيدة فاطمة اليوسف والدتى- وأردت أن أكتفى بالكتابة عن شخصيتها، الشخصية التى أحببناها جميعًا لأنها تشخط فى الجميع وتخصم من مرتبات الجميع وتمزق مقالات الجميع ثم تبتسم للجميع فيرون فى ابتسامتها حنان الأم وقسوة الأستاذة.. السيدة التى كانت أيامها كلها حربًا انتصرت فيها موقعة بعد موقعة ولم يكن لها من سلاح إلا العناد.. السيدة التى ربحت كثيرًا حتى وصلت إلى المليون وخسرت كثيرًا حتى باعت مصاغها.. فلم يؤثر فيها ربح أو خسارة.. ظلت محتفظة دائمًا بشباب أعصابها ونضرة أيامها وقوة آمالها.. السيدة التى تصل فى الصباح إلى مكتبها لتحاسب النحاس والنقارشى وصدقى، ثم تعود إلى منزلها لتحاسب الطباخ «وتشقر» على الفراخ وتشترك فى تقشير البصل وتخريط الملوخية.. إنها مجموعة من المتناقضات تؤلف شخصية فريدة وتاريخا لم نسمع عنه بين سيدات العالم..

وانتهيت من المقال وأرسلته إلى السيدة روزاليوسف للاطلاع، فعاد إلىّ وعلى أوراقه صفعات بالقلم الأحمر وعلى رأسه تأشيرة بقلم السيدة الجليلة تقول فيها «يا بارد.. خللى غيرك يقول الكلام ده!».

وربما انتظرت منى والدتى أن أنكسف وأن تعودنى فضيلة التواضع، ولكنى- للأسف- لم «أنكسف» ولم أتواضع فإنى- كما قلت- أحب أن أزهو بها، وهو أقل حق لى عليها!

واحترت ماذا أكتب على هذه الصفحة.. هل أكتب عن تلامذة روزاليوسف: التابعى، ومصطفى أمين، وحماد وكامل الشناوى.. إلى آخر الشلة التى جعلنا من أقلامهم حرابًا وإن كنا قد نسينا أن نختار لهم العدو الذى يحاربوه!

ولكنى تذكرت أنى كتبت عن خريجى روزاليوسف أكثر من مرّة حتى أصبحت المجلة باب المجد الذى يطرقه كل شاب يريد أن يشتغل بالصحافة..

وفى الأسبوع الماضى وقف أمامى شاب من الذين يسميهم زملائى هنا «مراهقى الصحافة» جاء ليلتحق بالمجلة كمتمرن، فسألته عما يجب أن يعمله فى الصحافة، فأجاب ببساطة «أريد أن أكون كالتابعى»!

واعتذرت له فلا روزاليوسف ولا مصر كلها تستطيع أن تخلق «تابعى» آخر، وهو فى نظرى الكاتب الوحيد الذى سيتحدث عنه التاريخ عندما يكتب صفحة الأدب العربى فى العصر

96
سنة حرية

إحسان ولدى رئيسا للتحرير!

الحالى..

وعدت أفكر فيما يصح أن أكتبه!

لمَ لا أكتب عن الجيل الجديد من الصحفيين الذى خلقته روزاليوسف؟ لمَ لا أكتب عن عبدالسميع الرسام الذى قدمَته روزاليوسف فلم تنقض ستة شهور على ظهور ريشته حتى تنافست حوله صحف مصر ولبنان فاعتذر لهم رغم شدة الإغراء وشدة الحاجة لا لشىء إلا لأنه يفضل أن يخضع فنه لمبادئه، من أن يخضع مبادئه لفنه. عبدالسميع الباسم دائمًا والذى لا يعترف بأنه مدين لأحد إلا لثلاثة: مدين بفنه لله، ومدين بالتوجيه لروزاليوسف، ومدين لى بثلاثة جنيهات!!

ولمَ لا أكتب عن سامى داود، الشاب الذى خسرته الإذاعة وكسبته الصحافة والذى يكتب أزجال روزاليوسف وطريق الحوادث وصفحة من التاريخ وكل مقال يشتمّ منه القارئ أن صاحبه قرأ أكثر من خمسة آلاف كتاب.. الشاب الذى يفقد أعصابه كلما تحدث عن الإنجليز وكلما ابتسم فى وجهه سكرتير التحرير!

ولماذا لا أكتب عن سليم اللوزى الشاب الذى قذفت به الأقدار إلى مصر ليجلس على مكتب سكرتير تحرير روزاليوسف ثمانى عشرة ساعة فى اليوم منها نصف ساعة لكتابة مقال والباقى للتحدث عن المقال الذى كتبه!! الشاب الذى استطاع أن ينجح رغم أنف النجاح نفسه، وأن يفرض عمله على الجميع لأنه يعمل أكثر من الجميع، والذى وصفه أحد زملائى قائلا: «إنه عالم.. ومن العلم ما قتل!!»

ولماذا لا أكتب عن الملازم الطروب عبدالمنعم السباعى، وصاحب الأصابع الذهبية محمد الخليلى، والعذراء البتول سامى الليثى المحرر الفنى، والقانونى الفحل محمد فرج، والمتهم السياسى دائمًا إبراهيم رشدى، وأخبث ساذج عبدالمنعم سرى الدين، والفنان الشريد الذى يدق أبواب المستقبل بكعب حذائه حسن محمد حسن، والرجل الذى ضحى فى سبيل الأدب بأكثر مما يستحق الأدب عبدالحميد السحار، والأزهرى العصرى أبو الفتح، والحائر إسماعيل المبروك الذى قبل منذ أسبوعين أن يعمل فى جريدة أخرى وبعد يومين ناداه صاحب الجريدة وقال له:

«لماذا لا تكتب لى كما كنت تكتب لروزاليوسف»؟ فأجاب بصراحة ليست من طبيعته «إنى لا أستطيع أبدًا أن أكتب كما أكتب لروزاليوسف»!

لماذا لا أكتب عن هؤلاء الذين أحاطوا بى لا لشىء إلا لأنهم آمنوا بالهدف المشترك بيننا جميعًا، وآمنوا بأن كل صفحة من هذه المجلة تصدر لهم وبهم وأن حقهم عليها لا يقل عن حق صاحبتها ورئيس تحريرها؟

ولكنى تذكرت أنى لو كتبت عنهم فسيكون من حقهم- كما تقضى تقاليد المجلة- أن يكتبوا عنى، وأنا لا أحب أن يسمع الناس رأيهم الصريح فى!

ولذلك كله، قررت أن لا أكتب شيئًا على هذه الصفحة!!

«إحسان»

روزاليوسف 20 **أكتوبر** 1948

والآن وأنا أجلس فى مكتبى لأكتب الحلقة الأخيرة من هذه الذكريات أرى كلما انفتح باب غرفتى.. إحسان فى غرفة مكتبه الزرقاء قد خلع الجاكتة، وفك الكرافات، وعلى وجهه تلك «التكشيرة» التى يلبسها إذا استغرق فى العمل، كأنه يعصر ذهنه، أو كأنه يريد أن يذوب فى الورق الذى أمامه.. ولا أملك نفسى حين أنظر إليه من الابتسام، وخاطرى تطوف به عشرات من الصور والأحداث التى كان إحسان موضوعها، أو كان بطلها، وتقف ذاكرتى واجمة ساهمة عند حادث صغير، وإحسان لم يزل ابن ستة شهور.

كنت فى ذلك الوقت لاأزال شابة صغيرة السّن، همّى كله منصرف فى المستقبل الذى أحلم به، واسمى الذى أريد أن أبنيه، والنشاط الذى يكاد أن ينسينى نفسى، وبيتى، وكل ما يتعلق بحياتى الخاصة.

وفجأة خرجت المرضعة التى كانت تعنى بإحسان.. واضطررت إلى أن أستخدم فى طعامه اللبن العادى الذى يباع فى الأسواق.. وإذا به يصاب بتلبك فى المعدة خطير، فهو يشحب ويهزل وتسكن حركته، ويضعف الخيط الذى يربطه بالحياة.

ووجدت نفسى أنسَى العمل الذى أنهض به، والمجد الذى أبحث عنه، وأنسى كل شىء إلا أننى أم، وأن ابنى فى خطر، وتضاءلت كل الأحلام الرائعة التى تطوف بى أمام حلم هو أن يعيش ولدى، وتبدد كل نشاطى للعمل الكثير غير عمل واحد هو أن أعنى بهذا الابن، وأن أبذل له كل ما أملك.

وأسرعت به إلى الطبيب، وكان الدواء الذى وصفه له يقتضى منى أن ألازمه خمسة وثلاثين يومًا لا أبعد فيها عن فراشه شبرًا واحدًا، ولم أشعر بضجر من البقاء فى البيت طيلة هذه الأيام الخمسة والثلاثين، ولم أشعر بفراغ وأنا أنسى مشاكل الحياة العامة لأحصر تفكيرى فى هذا الفراش الصغير.. لقد اكتشفت أن العناية يا بنى لا تقل خطرًا ولا جلالا عن الإيمان بمبدأ العمل لأى غاية كبيرة، لأن الكفاح من أجل حياته وصحته ومستقبله لا يقل شرفا عن الكفاح من أى عقيدة أخرى.. ومن يومها والبيت يشغل من اهتمامى قدر ما يشغله عملى وجهدى وكل متاعبى!

ولستُ أنسى يوم فتح إحسان فمه لأول مرّة ليبكى بعد أن أسكته المرض هذا الزمن الطويل، وجريت إلى الطبيب أقول، إنه يبكى.

فقال لى: أبشرى.. إنها علامة الشفاء.

لقد شعرتُ بعدها أن أبهر أحلامى قد تحققت، وأن جهادى قد تكلل بالنجاح وامتلأت حياتى إلى آخرها، وصرتُ أفرح إذا بكى، وأقلق إذا هدأ.

ثم أذكره وقد أصبح تلميذا فى المدرسة الابتدائية، يذهب إلى المدرسة ويعود منها فى بنطلونه القصير، وفى يمينه حقيبة الكتب، فإذا جاء يوم الجمعة أعطيته عشرة قروش لينفقها فى نزهته وهى عشرة قروش ظل يتمسك بأخذها كل أسبوع حتى بعد أن كبر، وتزوج وأصبح يكسب مئات الجنيهات.

وكان إحسان وهو فى هذه السّن يجد كل الأمهات مقيدات فى البيوت ما عدا أمه.. وكان هذا يدهشه، فكلما رآنى أتهيأ للخروج مع الصباح سألنى:

– أنت رايحة فين؟
– رايحة الشغل.
وأرى أنه يغضب لذلك، فأقول له:
– بكره لما تكبر وتخلص تعليمك تبقى تشتغل مطرحى وأنا أقعد فى البيت.
ولم يكن فى سن تتيح له أن يدرك هذا، ولكن هذه الكلمة كانت حافزا دائمًا له على الاجتهاد فى دراسته.. والاحتفاظ بالنجاح كل عام، حتى ينتهى من الدراسة ويعمل بدلاً منى، ومازلت أحتفظ بخطاب أرسله إلى وأنا على سفر وهو فى سن السابعة، يعتذر فيه عن إرسال خطابات ويقول: «أرجو أن تعرفى أنى أريد أن أكتب لك كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة ولكن المدرسة والمذاكرة اللى على شانك أنا مجتهد فيهم بيعطلونى وكل يوم أقول النهاردة أذاكر، وبكره أكتب الجواب لماما العزيزة اللى أحبها أكثر من كل شىء».
وقد ظلت هذه الفكرة مسيطرة عليه حتى كبر فأصبحت عقيدة وأصبح من رأيه أن المرأة للبيت فقط لا للعمل.
أمّا أول احتكاك له بالسياسة والصحافة فكان وهو تلميذ فى مدرسة فؤاد الأول الثانوية وكانت مظاهرات الطلبة سنة 1935 تجوب الشوارع هاتفة بائتلاف الزعماء وإعادة الدستور، وكنت جالسة بمكتبى بالجريدة اليومية حين دخل علىّ وقد احتقن وجهه وعلى خده الأيمن آثار كرباج ذى ثلاث شعب، قد أزرقت خطوطه واحتبس خلفها الدم.. وسألته: ما هذا؟
فقال: عسكرى إنجليزى.
وعرفت أنه كان يسير فى المظاهرات فلم أعترض على ذلك، وجهدت ألا يبدو علىّ أننى اهتززت لرؤيته على هذه الصورة أمّا هو فلم يبك قط، وقد ورث هذه العادة عنى.
ومن يومها بدأ يشترك فى نشاط الطلبة السياسى والوطنى وكان يجلس معى ويستمع إلى آرائى وإلى الأنباء السياسية ثم يعود فى الصباح التالى إلى مدرسته ليشعل ثورة.
أمّا أول اشتغاله بالصحافة.. فقد حدث أن سافرت فى العطلة الصيفية إلى الإسكندرية وتصادف أن مرض مراسل «روزاليوسف» فى الإسكندرية فجأة فى حين أن النشاط السياسى كله مُركز هناك، فاتصلت بإحسان تليفونيًا وطلبت منه أن يحاول الحصول على بعض الأخبار، وأن يرسلها إلىّ فورًا.
وعرفت بعد ذلك القصة.
فقد ذهب من فوره إلى فندق وندسور الذى كان ملتقى كبار الساسة فى ذلك الوقت.. ووجد أمامه الدكتور حسين هيكل جالسًا فتقدّم إليه وحيّاه ثم قال له ببساطة:
أنا عايز أخبار.
ودهش الدكتور هيكل من هذا التلميذ الصغير الذى يطلب منه أخبارًا بهذه الطريقة وقال له: أخبار إيه يا ابنى؟
فقال إحسان: ماما قالت: هات أخبار!
وزادت دهشة الدكتور هيكل، حتى علم أنه ابنى.. فضحك كثيرًا ورحّب به.. وأرسل لى يومها أخبارًا كثيرة.. ملأت سلة المهملات.
وبدأ فى هذه المرحلة يكتب من حين لآخر قصة، أو حادثة أو شيئًا من هذا القبيل، كنت أختار الصالح منه وأنشره له تشجيعًا، بإمضاء «سونة»، فهو أول توقيع صحفى له.

وصار إحسان كلما اقترب من نهاية دراسته يزداد حماسه لهذه النهاية.. فكان فى كلية الحقوق إذا اقترب الامتحان حبس نفسه فى البيت وحلق شعر رأسه كله حتى يضمن ألا يخرج ويترك دراسته مهما كانت المغريات.. وكنت إذا سألته لماذا يحلق شعره هكذا، قال ضاحكا: علشان البنات متعاكسنيش يا ماما.
وفرغ إحسان من امتحان الليسانس وعاد من الكلية مسرعًا قبل أن تظهر النتيجة فاحتل مكتبًا فى المجلة، وأعلن نفسه رئيسًا للتحرير.. ولما

اعترضتُ على ذلك قال لى: أما أنا كنت بتعلم علشان إيه؟ مش علشان أشتغل بدالك وأنت تستريحى.
وحاولت أن أقنعه بأنه لا بُدّ له من بعض التمرين قبل أن يرأس تحرير المجلة ولكنه أبَى ورفض أن يعمل فى «روزاليوسف» إلا رئيسًا للتحرير.. ولما أخذت عليه هذا العناد، قال لى كالعادة: هوّه أنا جايب العناد من برّه؟
وكأنه أراد أن يثبت لى أنه يستطيع أن يمضى بمفرده، وأنه لا يطالب بذلك لمجرد أنه ابن صاحبة المجلة، فذهب إلى التابعى الذى كان يصدر «آخر ساعة» فالتحق بها، وكنت أعطيه لقاء تمرينه فى «روزاليوسف» ستة جنيهات فأعطاه التابعى خمسة وعشرين.
وانتظرتُ أن يعود بعد قليل.. ولكنه لم يعد، فقد نجح هناك وبرز، وأصبح عنصرًا مُهمًا.. واتصلت بالتابعى بالتليفون أعاتبه– أو بالأصح أتشاجر معه– لأنه يغرى ابنى على العمل معه.. وقلت له: إننى أستطيع أن أعطيه المرتب الذى تدفعه له وأكثر، ولكننى أريده أن يتمرن.
وأعترف بأننى كنتُ أهاجم التابعى بشدة على تمسكه بإحسان وأنا مسرورة فى دخيلة نفسى.. فقد كنت أمام دليل قاطع على أن ابنى قد نجح، وأنه يستطيع أن يقف على قدميه.. ولم يبق هناك أكثر من شهرين، ثم عاد.
وفى سنة 1945 عاد إحسان إلى «روزاليوسف» وكتب فيها أول مقال نُشر فى الصحف المصرية ضد اللورد كيلرن، وكان النقراشى رئيسًا للوزارة فصادر المجلة وقبض على إحسان وأودعه السجن، وقد حاولت أن أتحمل المسئولية نيابة عن ابنى وأن أدخل السجن بدلا عنه، ولكن إحسان ثار، وشهد مكتب وكيل النيابة مناقشة حادة لا أعتقد أن تاريخ الصحافة فى العالم شهد مثلها.. مناقشة بين أم وابنها كل منهما يريد أن يتحمل المسئولية، وكل منهما يريد أن يدخل السجن.
وانتصر وكيل النيابة لابنى وحمّله المسئولية وأودعه السجن وعندما خرج عينته رئيسًا للتحرير وأقمت له فى هذه المناسبة حفلة كبيرة سمحت له خلالها أن يدخل أمامى.. للمرّة الأولى.
وفى هذه المناسبة– مناسبة تولى ابنى رئاسة التحرير– كتبتُ له خطابًا مفتوحًا نشر فى نفس الأسبوع نصه:
«ولدى رئيس التحرير
– عندما اشتغلتُ بالصحافة وأسستُ هذه المجلة كان عمرك خمس سنوات، وقد لا تذكر أنى حملت العدد الأول ووضعته بين يديك الصغيرتين وقلت: «هذا لك»!
ومرّت عشرون عامًا قضيتها وأنا أراقب فى صبر وجَلد نمو أصابعك حتى تستطيع أن تحمل القلم، ونمو تفكيرك حتى تستطيع أن تقدر هذه الهدية التى كونتها بدمى وأعصابى خلال سنين طويلة لتكون اليوم لك.
والآن وقبل أن أضعك أمامى لأواجه بك الناس، دعنى أهمس فى أذنيك بوصية أم إلى ابنها ووصية جيل إلى جيل:
– «مهما كبرتَ ونالك من شهرة، لا تدع الغرور يداخل نفسك.. فالغرور قاتل.
– كلما ازددت علمًا وشهرة فتأكد أنك مازلت فى حاجة إلى علم وشهرة.
– حافظ على صحتك، فبغير الصحة لن تكون شيئًا.
– مهما تقدمت بك السّن فلا تدع الشيخوخة تطغى على تفكيرك.. بل كن دائمًا شاب الذهن والقلب وتعلق حتى آخر أيامك بحماسة الشباب.
– حارب الظلم أينما كان، وكن مع الضعيف على القوى ولا تسأل عن الثمن.
– حاسب ضميرك قبل أن تحاسب جيبك.. ولعلك فهمت.
– كن قنوعًا، ففى القناعة راحة من الحسد والغيرة.
– ثق أنى دائمًا معك بقلبى وتفكيرى وأعصابى.. فألجأ إلىّ دائمًا.
وأخيرًا.. دع أمك تسترح.. قليلاً!».

96
سنة حرية

الرجل الذى أنقذنى

إن النقود تمثل مجهودًا بشريًا.. تمثل طاقة الإنتاج فى الإنسان.. الورقة ذات الجنيه التى تحملها فى يدك لا تمثل قطعة من الذهب مودعة فى البنك الأهلى- كما قد يُخيل إليك- ولكنها تمثل مجهودًا بذله عامل مصرى لمدة يومين.. أو تمثل مجهودًا بذله مهندس.. أو محام.. أو موظف.. أو بائع.. إلخ.

وكان هذا الجهد المصرى تستولى عليه الدول الأجنبية.. ولذلك كنا نقول إن الاستعمار يمتص دماءنا.. وإن الرأسماليين الغربيين هم مصاصو دماء.. فهم «مصاصو دماء» فعلًا، وبمعنى الكلمة.. والعمليات الاقتصادية التى كانوا يقومون بها هى فعلًا عمليات نقل دم.. نقل الدم الذى نبذله ونحرقه فى طاقتنا الإنتاجية، من عروقنا إلى عروقهم.

والأداة التى كانت تقوم بعملية نقل دمنا.. هى البنوك الأجنبية.. بنوك الدم.. وكانت مهمتها هى عصر طاقتنا الإنتاجية وتحويلها إلى نقود، ثم تحويل هذه النقود إلى دم يغذى عروق أعدائنا.. وحتى ما كان يبقى لنا من جهدنا، كانت هذه البنوك تستولى عليه باسم «الادخار» ثم تقرضه للأجانب ليحولوه بدورهم إلى بلادهم..

وثار مصرى اسمه طلعت حرب.. ورفض أن يعطى ذراعه للدول الاستعمارية لتمتص منه الدم.. وقرر أن تبقى دماء المصريين للمصريين.. فأنشأ بنك مصر..

ولم تكن مهمة بنك مصر هى مجرد إجراء عمليات مصرفية كما يبدو فى ظاهرها.. بل كانت مهمته الأساسية هى أن تبقى طاقة الإنتاج المصرية فى مصر.. أن يزرع الفلاح المصرى القطن.. ليصنعه على آلات مصرية.. يديرها عمال مصريون.. ويبيعه مصريون.. والربح يحوّل مرّة ثانية إلى الزراعة المصرية، والصناعة المصرية، والفلاحين والعمال المصريين.. وهكذا تستمر الدورة الدموية فى عروق مصر.

ولم يكن طلعت حرب رجلا مصرفيًا، أو «بنكير» يسعى لجنى ربح.. بكل طُرق الربح.. بل كان صاحب فكرة.. صاحب رسالة.. وكانت رسالته هى أن يصون لمصر دماءها لتعيش بها وتنهض وتنمو.

وطلعت حرب ساهم فى هذه المجلة.. فى «روزاليوسف».. لا كصحفى، ولكن كمصرى يؤيد رسالة مصرية..

وكانت «روزاليوسف» قد أتعبتها محاربة الإنجليز والحكومات الموالية للإنجليز.. وكان مكتوبًا عليها أن تنهزم فى المعركة التى تخوضها.. وأن تلغى نفسها.. تُفلس وتختفى من الميدان.. وتقدّم طلعت حرب، وأقرض مجلة «روزاليوسف» ألفين من الجنيهات، بضمان الآلات القديمة التى كانت تملكها.. وبضمانه الشخصى.

وكان المبلغ صغيرًا، ولكنه كان كافيًا ليرد الدماء إلى عروقنا، ولتواصل المجلة رسالتها.. وهذا المبلغ الصغير، قضت «روزاليوسف» عشر سنوات تسدده على أقساط صغيرة.. وطلعت حرب صابر.. لا يتعجل.. لأنه مصرى يحس بما تتكلفه دار مصرية تحمل رسالة «روزاليوسف».

هل كان هناك بنك آخر يمكن أن ينقذ مجلة «روزاليوسف»..

لو كانت مجلة إنجليزية لأنقذها بنك باركليز ولوقف مديره نفس الموقف الذى وقفه طلعت حرب.

ولو كانت مجلة فرنسية لأنقذها بنك الكريدى ليونيه.. ولو كانت إيطالية لأنقذها البنك الإيطالى.

ولكنها مجلة مصرية.. صاحبة رسالة مصرية.. وهى تتحمل عبئًا كبيرًا من الاضطهاد.. ولم يكن يستطيع أن ينقذها إلا بنك مصرى.. وطلعت حرب.

إن البنوك لها دائمًا مهمة وطنية.. وقد كانت مصر ينقصها الأداة التى تصون حركتها الوطنية.. إلى أن ظهر فيها طلعت حرب.

ماذا كان يمكن أن يحدث لـ«روزاليوسف» لولا طلعت حرب.. وأين كان يمكن أن أكون أنا وبقية زملائى الذين يعملون معى.. ومن كان يحمل هذه الرسالة الثورية التى حملتها «روزاليوسف» مدى ثلاثة وثلاثين عامًا؟!

لا أدرى..

ولا أدرى ماذا كان يمكن أن تكون عليه حال مصر كلها الآن، لو لم يظهر فيها طلعت حرب.. الرجل الذى جمع دماءنا ليعيدها إلى عروقنا.. الرجل الذى سار أمامنا فى الطريق الصعب.

إننا ننتقل إلى الدار الجديدة

لقد دخلت هذه الدار لأول مرّة عام 1938 وأنا مازلت طالبًا فى المدرسة الثانوية.. دخلتها لأرى أمى.. ثم أصبحت أدخلها- منذ عام -1943 لأعمل مع أمى- ومنذ عام 1943.. منذ سبعة عشر عامًا وأنا أجلس فى نفس الغرفة..

ومن هذه الغرفة رأيت مصر كلها تتطور.. وعشت فى الأحداث المتتالية.. كل حدث تشترك فيه روزاليوسف مع الجماهير.. إذا اضطهدت الجماهير، اضطهدت معها روزاليوسف.. إذا فتحت السجون كان أول من يدخلها محررو روزاليوسف.. وإذا انتصرت الجماهير انتصرت روزاليوسف..

وفى هذه الغرفة استقبلت كل الشبان الناشئين الذين أصبحوا اليوم رجالا يتولون القيادات المختلفة، فى السياسة، وفى الصحافة، وفى الفن.. وإنى أراهم دائمًا كما رأيتهم لأول مرّة.. وأعرفهم كما لا يعرفهم أحد غيرى.. أعرف كيف يفكرون.. وكيف وصلوا.. وبعضهم الآن يحمل ألقابا، ورغم ذلك فإننى لا أستطيع أن أخاطبه بلقبه إلا بصعوبة.. إنه من عائلتى.. إنه أخى.. والأخوة لا يتخاطبون بالألقاب..

ومن هذه الغرفة رأيت روزاليوسف نفسها تتطور.. لقد بدأت العمل فيها وهى تجتاز أعنف أزماتها.. ولم تكن تملك سوى آلتين قديمتين للطباعة.. وكانت تطبع بالحروف المصفوفة باليد.. ولم تكن تملك الورق الذى يكفى لإصدارها.. ثم كبرت.. أصبحت تملك عشرين آلة طباعة.. وتطبع بحروف اللينوتيب.. وتصدر مجلتين بدلا من مجلة واحدة.. وأصبحت تملك ما تحتاج إليه من ورق.. وأصبح لها رصيد فى البنك..

وكل تطور اجتازته روزاليوسف، اتسعت له هذه الدار القديمة.. لا أدرى كيف.. ولكننا كنا نجد دائما مكانا فيها، لنضع الآلات الوافدة.. ونضع المكاتب الجديدة.. ونستقبل الزملاء الجدد.. وقد كنا فى عام 1943 ثلاثة فقط يعملون فى التحرير مع السيدة روزاليوسف.. الرسام رخا.. والمرحوم الأستاذ عز الدين حمدى.. وأنا.. ثم أصبحنا مع الأيام أكثر من تسعين محررًا ورساما.. ورغم ذلك اتسعت لنا الدار القديمة.. كيف.. لا أدرى!

والغرفة التى أجلس فيها، كما هى لم يتغير فيها شىء، سوى أن السيدة روزاليوسف بعد أن انتعش التوزيع، اشترت لى مكتبًا جديدًا.. اشترت غرفة المكتب فقط.. ورفضت أن تشترى معدات المكتب.. فتولى أصدقائى شراءها لى.. الصديق لملوم اشترى السجادة.. وكامل الشناوى اشترى لى المصباح الكهربائى الذى أكتب فى ضوئه حتى اليوم.. والصديق مدنى حجاج اشترى لى أدوات المكتب.. و.. و.. وكان ذلك من زمان.. منذ أكثر من عشر سنوات..

ولم تكن هذه الغرفة مجرد غرفة عمل بل كان كل عمرى فيها.. إنى أجلس فيها أكثر مما أجلس فى بيتى.. وقد شهدت الغرفة أيامًا عجابًا.. شهدت أيامًا كان يقف على بابها بوليس سرى مسلح ليحمينى من ناس يهددونى بالقتل أيام كنت أكتب عن قضية الأسلحة الفاسدة.. وشهدت ضباط البوليس يدخلون للقبض علىّ.. وشهدت ثوارًا يدخلونها ليضعوا خططا ثورية.. كل أنواع الثوار.. كان يكفى أن تكون ثائرًا.. وأيام معركة القنال الأولى- عام -1952 تحولت غرفتى إلى ترسانة سلاح يحتفظ فيها أفراد كتيبة خالد بن الوليد ببنادقهم ومدافعهم الرشاشة.. و.. وأكثر من ذلك..

إن هذه الدار لم تكن- بالنسبة لى- مجرد دار للعمل.. إن غرفة مدير مؤسسة روزاليوسف كانت يومًا غرفة نومى.. وكنت أيامها طالبًا فى الجامعة، وكان بيتنا بعيدًا فى المطرية، فخصصت لى السيدة روزاليوسف هذه الغرفة لأنام فيها.. ومرضت فيها.. مرضت مرضًا خطيرًا وكانوا يعالجوننى بتغطيتى بقطع الثلج..

والمكتب الذى يجلس عليه رئيس تحرير صباح الخير الآن كان المكتب الذى أذاكر فوقه دروس الليسانس.. وكان هذا المكتب يُعتبر أغلى قطعة نملكها، خافت عليه والدتى من أن يحجز عليه أصحاب الديون، فنقلته إلى البيت..

وأصبحت أذاكر عليه.. ثم نقلته مرّة ثانية إلى الدار وخصصته لنفسها..

وكنت لا أراها إلا جالسة عليه.. حتى آخر أيامها كنت لا التقى بها إلا فى هذا المكتب.. وهى جالسة ونظارتها فوق عينيها، وقدماها ممدودتان أمامها على مقعد آخر.. وتختلط عواطفنا- عواطف الأم والابن- بمناقشاتنا فى العمل.. تختلط قبلاتنا، بعنادنا وإصرارنا على أن نعمل..

وبعد أن توفت والدتى.. أغلقت غرفة مكتبها بالمفتاح.. لم أكن أطيق أن أرى أحدًا آخر يجلس على مقعدها.. وكنت أدخل وحدى، فى الليل.. وأذكرها.. وأبكى.. وكنت أعلم أن هذا ضعف.. ضعف منى، لا ترضى عنه أمى.. فتغلبت على ضعفى، وَفتحت الغرفة، وخصصتها لرئيس تحرير صباح الخير.. وكل ما أخذته منها «بارافان» كانت أمى تعتز به، وهى التى وضعت تصميمه ورسمت على جدرانه صور جميع الزعماء والساسة الذين عاصرتهم، وأتعبتهم.. وأتعبوها..

والصالة التى يجلس فيها الآن زملائى المحررون، لها ذكرى عزيزة أخرى فى نفسى لا يعرفونها.. ففى هذه الصالة قدمت زوجتى إلى أمى لأول مرّة.. ووقفت أمامها مرتبكا حائرًا أتلهف على كلمة تنطق من شفتيها.. وتحركت شفتاها.. باركتنا.. وحتى اليوم.. كلما مررت بهذه الصالة، ابتسمت.. وزملائى لا يعلمون لماذا أبتسم..

لقد كانت هذه الدار هى بيتنا.. لم يكن لنا بيت آخر.. البيت الآخر لم يكن سوى مكان ننام فيه.. مكان ننقطع فيه عن الحياة.. أمّا الحياة.. فهى هنا.. فى هذه الدار!

و.. إنى لا أستطيع أن أستمر.. أحس كأنى أتجمع البكاء.. وقد بعت هذه الدار.. بعتها كأنى بعت كل عمرى.. والذى اشتراها ليس من قراء روزاليوسف.. إنه لا يعلم شيئا عن كل هذه الذكريات.. إنه لا يستطيع أن يقرأ التاريخ المكتوب على جدرانها.. وبعد أسبوعين أو ثلاثة سيرتفع فأس قاس ويحطم كل شىء.. يحطم هذه الجدران.. يحطمَ كل هذا التاريخ، لترتفع فوقه عمارة سكنية، تطل من شرفاتها حبال الغسيل!!

ولكن.. هناك فرحة تلمس قلوبنا من بعيد، وتمسح عنها الألم..

فرحتنا بالدار الجديدة..

فهذه الدار الجديدة والمطابع الحديثة، لم تكن لتكون لولا الدار القديمة.. إنها مظهر آخر من مظاهر «النجاح» الذى أحاطتنا به الدار القديمة منذ دخلنا فيها..

والدار الجديدة لا تساوى شيئًا بغير قلوبنا.. ولا يهم أن ننقل إليها مكاتبنا وأوراقنا وآلاتنا.. ولكن المهم أن ننقل إليها هذه الروح التى جمعتنا كل هذه السنين.. روح العائلة الواحدة.. والهدف الواحد.. والحب الكبير.. حب عملنا.. وحب روزاليوسف.. وحب الناس الذين وثقوا بنا وبروزاليوسف.

وفى الأسبوع القادم ستنتقل روحنا إلى الدار الجديدة..

بقلم: إحسان عبدالقدوس
روزاليوسف 16 يناير 1961

96
سنة حرية

لماذ خرج محمد التابعى من روزاليوسف؟

الأستاذ محمد التابعى صديق عزيز أعترف بفضله علىّ ككاتب قرأت له وعملت معه- عندما كان صاحب آخر ساعة- كما أعترف بفضله كأحد الذين اشتركوا فى تأسيس روزاليوسف وإقامة بنيانها.. وكنت أحب أن يكون مقالى الأول عن التابعي- وأنا لم أكتب عنه مقالا كاملا قبل اليوم- كنت أحب أن يكون هذا المقال تعبيرًا صادقا عن عواطفى نحوه، وإنصافا له من الألسن الحداد التى تتحرك من وراء ظهره.. وهو مقال لا بُدّ أن أكتبه يومًا ما، وإن كنت أفضل أن أكتبه بعد عمر طويل!.. ولكن الأستاذ التابعى استحثنى على الكتابة عنه، عندما نشر فى الأسبوع الماضى إعلانا بإمضائه عن مجلة آخر ساعة.. ومن حق التابعى- ولا شك فى هذا- أن يكتب إعلانات عن الجريدة التى يعمل بها، ومن حقه أن يبالغ فى صياغة هذا الإعلان فإن المبالغة هى من أُسس الدعاية، ومن حقه أيضا أن يُحيى صاحب المجلة التى يعمل بها فيصفه فى سياق الإعلان بأنه «شديد الحساسية سريع البكاء!!»، ولكن عندما يتعرض هذا الإعلان لشخص خارج نطاق المؤسسة المعلن عنها، فيجب على كاتب الإعلان أن يتحرى الواقع وأن لا يجنح إلى المبالغة ولو كان فيها إلباس الإعلان ثوبًا برّاقا، حتى لا يُقال- وهو ما يُقال فعلا- إن الكاتب يحاول أن يرتفع على أكتاف غيره.. والشخص الذى تعرّض له الأستاذ التابعى عندما كتب هذا الإعلان هو السيدة روزاليوسف، والدتى وصاحبة المجلة التى أعمل بها.. وإذا كان من حق التابعى أن يغالط فى سبيل إرضاء مصطفى أمين بك، فأظن أنه يعترف لى بحق تصحيح الغلط فى سبيل إرضاء سيدتى ووالدتى، وفى سبيل إرضاء التاريخ مادام- أى الأستاذ التابعى- يُصر على أن يجعل من قصة خروجه من مجلة روزاليوسف حادثة تاريخية تتناقلها الصحف ويُصر على أن يجعل منها ذكرى وطنية يحييها بمقال كل عام!

يقول الأستاذ التابعى إن قصة خروجه من روزاليوسف تبدأ عندما استدعى أمام النيابة للتحقيق معه فى خبر نشره فى روزاليوسف عن خروج الإبراشى من القصر، فسافر إلى أوروبا وهو شبه منفى، ثم لمّا أراد أن يعود إلى مصر إذا به يفاجأ بمندوب عن السيدة روزاليوسف ينتظره على الميناء وفى يده تذكرة سفر إلى القنطرة ونصيحة منها بأن يسافر رأسًا إلى لبنان.. إلى آخر القصة!

والقصة كلها يَفهم منها القارئ- والتابعى قدير على أن يُفهم القارئ ما يريد-.. يَفهم منها أن السيدة روزاليوسف ضحت بالتابعى وبهنائه، بل وحاولت نفيه خارج الديار المصرية، فى سبيل مصلحة مجلتها التى كانت معرضة للمصادرة وسحب الرخصة من جراء نشر هذا الخبر..وهنا أستحلف ذاكرة الأستاذ التابعى التى تضعف أحيانا وتقوى أحيانا أخرى تبعًا لمقتضى الظروف، أستحلفها بأن تُذكّر الأستاذ بأنه لم يُستدع إلى النيابة بصفته متهمًا فإنه لم يكن رئيسًا للتحرير وقتها، بل كانت السيدة روزاليوسف هى رئيسة التحرير، كما أنه لم يكن قد وقع المقال موضوع التحقيق بإمضائه، إنما استدعي إلى النيابة لمجرد سؤاله، وقد أجاب يومها بأنه «غير مسئول وأن مهمته تقتصر على إعادة صياغة الأخبار التى تجمعها له رئيسة التحرير»، ولعله يذكر- إذا أراد أن يذكر- أن التحقيق دار فى منزل السيدة روزاليوسف لمرضها وبحضور محاميها الأستاذ الكبير سابا حبشى باشا، ولعله يذكر أيضا أن هذه القضية بالذات قد حُفظت ولم يقدم فيها للمحاكمة لا هو ولا رئيسة التحرير ولا صاحب الخبر الأستاذ مصطفى أمين بك.

أمّا لماذا ألحّت السيدة روزاليوسف عليه بأن يسافر رأسًا إلى لبنان، فكان ذلك لحادثة أخرى هددت إحدى الجهات بتحريكها ضده أمام النيابة، وهى حادثة لا أظن أن الأستاذ التابعى يحب أن يُذكره بها أحد، وإن كان قد نسى تفاصيلها فلعله لم ينس أنها لم تكن حادثة سياسية ولا صحفية وإنما كانت حادثة شخصية بحتة لا تمس المجلة إلا بمقدار فقدانها لاسم أحد محرريها.. وهى- أى السيدة روزاليوسف- عندما كانت تنصح له بالسفر إلى لبنان إنما كانت تضحى بمصلحة مجلتها فى سبيل أحد محرريها، إذ لا يعقل أن تمنح صاحبة المجلة أحد محرريها إجازة طويلة يتقاضى فيها مرتبه كاملا، إلا إذا كان ذلك تضحية منها.. وتضحية كبرى!

أمّا القصة التى نسبها الأستاذ التابعى إلى الأستاذ مصطفى أمين بك الشديد الحساسية السريع البكاء، أو التى نسبها مصطفى أمين بك لنفسه، وهى أن عزته تقدم بشهامة لا تقل عن شهامة الملك عبدالله وكتب خطابًا للنائب العام يذكر فيه أنه مصدر الخبر، حتى ينقذ بذلك الأستاذ التابعى والسيدة روزاليوسف، فلعل الأستاذ التابعى يذكر أن هذا الخطاب لم يصل أبدًا إلى النائب العام، وإنما أعطاه مصطفى أمين للسيدة روزاليوسف، وأعطاه لها وهو يعلم أنها ستمزقه، وقد مزقته فعلا- هى لا الأستاذ التابعى- أمام كليهما.. والآن، هل يريد الأستاذ التابعى أن أذكر له الأسباب الحقيقية لخروجه من روزاليوسف؟ وهل يعتقد أن ذلك فى مصلحته؟

يا أستاذى.. إنك تعلم- حتى لو لم يكن من مصلحتك اليوم أن تعترف بأنك تعلم- تعلم أن ما يمكن نشره من الأسباب هو سلسلة من «توقيعات» مصطفى أمين بينك وبين صاحبة المجلة، فقد كان لمصطفى دائمًا تأثير عليك وكنت تضعف دائمًا أمام منطقه ولباقته، وربما كان يعلم منذ هذه السنوات الطوال، أنك يوم أن تخرج من روزاليوسف وتنشئ مجلة خاصة لك فسيستطيع أن يشتريها منك، وهو ما كان يعجز عنه لو بقيت وبقى فى روزاليوسف إلى اليوم.. وقد نجح فى خطته، فلماذا تصفق له؟!

يا أستاذى.. إنك التابعى أينما كنت ولا داعى لأن تشغل قراءك بخروجك من مجلة ودخولك أخرى، فإنهم- وأنا منهم- يفضلون أن يقرأوا لك مقالا عن أن يقرأوا لك إعلانا!!

■ ■

وبعد، فهذا الإعلان الذى استحثنى على الكتابة ينشر للمرّة الثانية، وكانت المرّة الأولى منذ عام واعتذر عنه الأستاذ التابعى للسيدة روزاليوسف بأن ذاكرته قد خانته، فلما نشر للمرّة الثانية فى الأسبوع الماضى، اعتذر الأستاذ التابعى مرّة ثانية بأنه لم يكن له دخل فى إعادة نشره.. ولعلمى أن مصطفى أمين بك لن يسمح له بنشر اعتذاره على صفحات جريدته فإنى مضطر إلى نشره لأن الأستاذ التابعى نفسه علمنى أن لا أومن بالمَثل السائر «تشتمنى فى جريدة، وتصالحنى فى تليفون»!

«إحسان»

روزاليوسف- 22ديسمبر 1948

شكر خاص
للكاتب الصحفى رشاد كامل
لتوثيقه لتراث روزاليوسف
فى سلسلة كتب تعتبر
خزائن لكنوز المؤسسة

رحلة «فاطمةاليوسف» المسرحية
من «جدة فى السبعين» إلى «غادة الكاميليا»:

عندما ارتدى محمد عبدالوهاب فستانا للوقوف أمام «روزاليوسف»!

إسلام عبد الوهاب

ونحن نحتفل بعيد مجلة «روزاليوسف» الخامس والتسعين لا بُدَّ من حديث عن صاحبة المجلة.. تلك السيدة التى لاتزال تتمتع ببريق لم ينطفئ رُغم كل هذه السنوات.. بمجرد أن تذكر اسمها يذهب عقلك لصاحبة الجلالة.. وهى مؤسّسة الكيان الأهم والأبرز فى مصر والشرق الأوسط وصاحبة القلم الأجرأ.. ويكفى هنا فقط أن أسوق حكايتها مع جمال عبدالناصر، الذى كتبت له مقالاً حول حرية الرأى، وردّ عليها «ناصر» فى العدد نفسه بتاريخ 11 مايو 1953م حول حرية الصحافة والحاجة إلى الاختلاف.

إنها السيدة «فاطمة اليوسف» التى كان مقالها آن ذاك حديث الأوساط الصحفية والسياسية لايزال يُدَرَّس حتى اليوم.

أمّا الجانبُ الآخر من تلك الشخصية المتفردة، التى طالما تحدّث الجميع عنها باعتبارها راهبة فى محراب الصحافة، الحديث هنا ليس عن الصحافية «روز اليوسف» والدة الأديب الكبير إحسان عبدالقدوس، ولكن السطور التالية تحكى عن الفنانة «فاطمة اليوسف» التى اهتم النقاد والمهتْمون بتجربتها العظيمة فى الصحافة وتناسوا ذكر دورها الفنى باعتبارها فنانة وممثلة قديرة!

نبدأ الحكاية عن أيام الفن، كما أسمتها هى فى مذكراتها الوحيدة التى تحمل اسم «ذكريات»، والتى تُعَد من أهم السِّيَر الذاتية لسيدة فريدة من نوعها.

■ **قصة دخولها عالم الفن**

بداية تمثيلها كانت بالصدفة حيث قررت فرقة الفنان المسرحى عزيز عيد والذى تبناها فى بداية مشوارها الفنى أن تخرج رواية اسمها «عواطف البنين»، وعهدت بإخراجها لعزيز عيد، وكانت الرواية تحتوى على ثلاثة أدوار نسائية، البنت والأم والحفيدة، وكانت الفرقة تضم ست ممثلات كلهن سوريات مسيحيات وجميعهم فى سن الأربعين فما فوق ماعدا واحدة فقط فى سن الشباب، وعهد عزيز عيد إليها بدور البنت، وعهد دور الأم إلى أخرى، وتبقى أمامه دور الجدة العجوز فرفضن جميعًا أن يمثلنه!

وكان الرفض بسبب عدم رغبتهن القيام بدور سيدة عجوز أمام الجمهور، وهنا فكّر عزيز عيد فى إسناد الدور لتلك الفتاة الصغيرة التى تأتى له تشاهد المسرحيات بين الحين والآخر.

وتحكى «فاطمة اليوسف» عن تجربتها الأولى فى كتابها «ذكريات» قائلة: ترك عزيز عيد المسرح أسبوعًا كاملًا تفرّغ فيه لتدريب تلميذته الصغيرة وبذل معها جهدًا لم يبذله مع الكثيرين.

وجاء اليوم العصيب وارتفع الستار ودخلت الفتاه الصغيرة تمثل دور الجدة فى سن السبعين، وكان عزيز عيد نفسه أول من فوجئ بالنجاح الباهر، والواقع أن نجاح الفتاه الصغيرة جاء طبيعيّا إلى حد بعيد، فصوتها خافت بلا تصنُّع وهو يرتعش ويتهدّج من فرط خوفها وارتباكها، والثياب ثقيلة عليها، والأضواء ترهبها، فهى تمضى على المسرح متعثرة مرتجفة تتوكأ على عصاها.. وتبدو فى النهاية – وتحت الماكياج- كأنها جدة فى السبعين حقّا راسخة القدَم فى دورها!

ومن تلك اللحظة بدأ «عزيز» ينظر إلى فتاته الصغيرة على أنها فنانة حقّا، لا تتحرك إلا بمشورته ولا تنفصل عنه أبدًا.

وقد تقدّمت الأيام بفتاتنا الصغيرة وأصبحت سيدة شهيرة مرموقة ولكنها ظلت حافظة لجميل هذا الأستاذ العظيم حتى مات، رُغْمَ كل ما سبَّبَه لها هذا العرفان من متاعب.

انتهت قصَة أول دور تقوم به الفنانة «فاطمة اليوسف»، ولكن الملاحَظ من مذكراتها التى تحكى فيها عن أيامها فى الفن قبل أن تولى قبلتها شطر الصحافة أنها كانت من عشاق عزيز عيد؛ لأنها حكت فى مذكراتها عنه وعن علاقته بجورج أبيض أكثر مما حكت عن نفسها.. واللافت أن تلك المذكرات منقوصة بشكل ما وليس هناك ترتيب للأحداث، وهى نفسها مَن اعترفت بذلك فى مقدمة تلك المذكرات التى أهدتها لابنها الحبيب «إحسان عبدالقدوس» حين كتبت له: إليك يا بنى أهدى هذه الذكريات «الناقصة»-

كما تقول- وأنك لتعلم أن من الأشياء ما يصعب على المرء أن يقوله أو يوضحه، وإنه ليكفى أن تكون عالمًا بما فى هذه الذكريات من نقص؛ لأطمئن إلى أنك سوف تكملها ذات يوم».

نعود مجددًا إلى قصة «فاطمة اليوسف» مع الفن حيث توالت المسرحيات واختار رواية ساخرة للكاتب الفرنسى «فيدو» بعنوان «يا ست متمشيش عريانة»، وتوقّع حينها الجمهورُ أن تقدّم البطلة «فاطمة اليوسف» دورَها فى ملابس غير لائقة نسبة إلى اسم المسرحية، ولكنهم وجدوا أن ملابسها محتشمة ولا يوجد خروج عن العادات والتقاليد العامة.

وفى أحد أيام الراحة قرّرَت الفنانة الصاعدة «فاطمة اليوسف» أن تذهب إلى رأس البر فى إجازة، وقررت أن تنزل البحر مرتديه «بيجاما» طويلة ولم تكن تدرى أن هذا التصرُّف سيثير فى وجهها عاصفة من الانتقادات الكثيرة التى تؤدى إلى فصلها من الفرقة!

وطلب «طلعت باشا حرب» حينها الاعتذارَ عمّا بدَرَ منها، ولكنها رفضت الاعتذارَ وقبلت الفصل من الفرقة بدلا من أن تعتذر على نزولها البحر مرتدية «بيجاما»!

وظلت العلاقة متوترة بين «طلعت حرب» و«فاطمة اليوسف» طيلة سنوات عدّة حتى عادت المياه إلى مجاريها فيما بعد.

■ حكاية البطولة مع موسيقار الأجيال!

كان أول لقاء يجمع بين الفنان الصاعد «محمد عبدالوهاب» والفنانة الناشئة «فاطمة اليوسف» فى فرقة عبد الرحمن رشدى، الذى ضم «عبدالوهاب» للفرقة وكان شابّا ضعيف البنية نحيلا صغيرًا، وكانت الفرقة تمثل رواية «الموت المدنى»، وكانت «فاطمة اليوسف» تمثل دور بنت صغيرة، وكانت تمثل دور أمّها ممثلة أخرى اسمها «جميلة»، ثم حدث أن مرضت جميلة وقرر عبدالرحمن رشدى أن يمثل محمد عبدالوهاب دور البنت الصغيرة وأن تكون فاطمة اليوسف أمّه.. أو بالأحرى أمّها!!

وفعلا ألبسوا محمد عبدالوهاب فى أول دور تمثيلى له فستانا رشيقًا وهو الفستان نفسه الذى كانت الممثلة الناشئة تؤدى به الدور، ووضعوا على رأسه شعرًا طويلا مستعارًا.. وكان الفشل حليفهما هما الاثنين- هكذا تروى «فاطمة اليوسف» فى مذكراتها.

تقاضت فى فرقة رمسيس 25 جنيهًا أجرًا وتركتها بسبب رفضها تطبيق شعار «الجمهور عايز كده» وتقديم عروض تجارية رخيصة

■ «روزا» ويوسف وهبى

ثم تنقلنا «فاطمة اليوسف» لفرقة رمسيس وانضمامها لها بصحبة عزيز عيد الذى كانت مثل ظله وكيف أن أجرَها ارتفع إلى 25 جنيهًا، وكان أعلى أجر فى الفرقهةحينها 30 جنيهًا، وكان «حسين رياض» بنفسه لا يزيد راتبه على الـ15 جنيهًا، وبدأ نجم الفنانة الناشئة يعلو شيئا فشيئا حتى أصبحت من أهم الممثلات حينها فى فرقة رمسيس بقيادة الفنان الكبير يوسف وهبى، ولكن دائمًا ما تأتى الرياحُ بما لا تشتهى السفنُ؛ حيث بدأ الفشل يزحف على فرقة رمسيس مع بداية الموسم الثالث لها وقررت الفرقة النزول اتباعًا لنظرية «الجمهور عايز كده».. وبالفعل اتخذت الفرقة تقدّم مسرحيات باللغة السوقية والعامية حتى اختلفت «فاطمة اليوسف» مع يوسف وهبى بسبب مسرحية «الذبائح» المأخوذة عن رواية بالاسم نفسه لمؤلف اسمه «أنطون يزبك».

وكانت هذه الرواية سبب الفراق بين الممثلة والأستاذ، ثم سافرت بعد تركها لفرقة رمسيس إلى باريس فى عطلة لمحاولة إعادة ترتيب أوراقها وخططها المستقبلية، وأمّا عن الفرقة فاستمرت على النهج نفسه حتى توالت عليها الضربات والانشقاقات من الداخل بين الممثلين والممثلات، حتى إن «محمد التابعى» - وكان صحفيّا متخصصا فى النقد الفنى- كتب مقالا مطولا فى عام 1925م- وهو نفس عام إصدار مجلة «روزاليوسف»- ينتقد فيه هذه المسرحية والأسلوب الذى اتخذته فرقة رمسيس فى التمثيل التجارى.

■ قصة اعتزال لم تُروَ!

لم تحك لنا «فاطمة اليوسف» قصة اعتزالها الفن ولكنَها روت حكاية بليغة..

تقول: وفى باريس تلقت فنانتنا- لاحظ أنها تحوّلت من وصفها بالممثلة الناشئة إلى فنانتنا- رسالة من الأستاذ محمد التابعى يدعوها إلى العودة؛ لأن «نجيب الريحانى» يكوّن فرقة للتمثيل الدرامى ويريد أن يعهد بالبطولة إليها. وأرسل إليها مع الخطاب عَقدًا مكتوبًا لتوقّعه، وعادت الفنانة وانضمت لفرقة الريحانى ولكنها لم تبقَ فى الفرقة أكثر من أسبوعين.

واعتزلت فنانتنا المسرح ومضت تسع سنوات حتى جاءت سنة 1943م ووقع حريق كبير التهم قرية محلة زياد وكان الحريق كارثة أليمة، شمل الحزن القطر المصرى كله وتسابق الناسُ للتبرع لإعادة بناء القرية، ودعا «مصطفى النحاس» كل أنصاره إلى التبرع والمساهمة وكانت فنانتنا من أنصاره المقربين، فقررت أن تمثل «غادة الكاميليا» ليلتين متتاليتين يخصص دخلهما لمساعدة القرية المنكوبة وكانت تلك هى المرة الأخيرة لفنانتنا على خشبة المسرح!

بَيْدَ أنّ الست «روزا» كانت طيلة الوقت تحكى عن نفسها باسم الممثله الناشئة دون أن تذكر اسمها وصفتها، والعجيب أن الجزء الثانى من مذكراتها الذى حمل عنوان «أيام الصحافة» كانت تحكى عن نفسها بوضوح دون موارية رُغم أنها لم تذكر كلما «أنا» قط طيلة حكاياتها عن أيام الفن، فهل كان ذلك بسبب توهج «روزا» الصحفية التى أصبحت أشد لمعانا وبريقا من «روزا» الممثلة.. الإجابة بالتأكيد قد تحتاج أن نحكى عن أيامها فى الصحافة. ■

فرقة رمسيس المسرحية

طه حسين وصلاح حافظ ولويس عوض ويعقوب الشارونى أشهر أبنائها

مغاغة

مدينة المبدعين والعُشاق

تأسست مع ميلاد عميد الأدب العربى وتحولت إلى جزء من التراث الفنى

فى 28 أكتوبر من عام 1973 وبعد رحلة وسلسلة من المعارك امتدت طوال 84 عامًا أبحرت - وفى رحلة نهائية بلا عودة - سفينة أشهر باحث مصرى عن الحرية وأعظم المبصرين الذى كان يرانا جميعًا وكنا - أيضا جميعًا - نعجز عن رؤيته.. ابن صعيد مصر الأوسط الشيخ - بحق - طه باشا حسين.

موفق بيومى

ظهر مركز مغاغة إلى النور فى الرابع والعشرين من مارس عام 1890 عندما أصدر الخديو عباس حلمى «دوكريتو» بضم أراض ناحيتى «نموى» و«جزيرة الحجر» أقصى شمال مديرية المنيا وتحويلهما إلى قسم - أى مركز - يحمل اسم مغاغة وهو الاسم الذى كان شائعًا على ألسنة العامة والأهالى وينسبون فيه المكان إلى أقدم العائلات المقيمة بالمنطقة، وهى «بنى مغاغة» أحد فروع قبيلة لواتة الأمازيغية التى أقامت بالمنطقة قبل قرون.

عندما ظهر اسم مغاغة إلى الوجود كان عمر عميد المبصرين لا يتجاوز بضعة شهور، فهو من مواليد 15 نوفمبر 1889 بعزبة الكيلو الملاصقة حينذاك لبندر مغاغة والتى تحولت اليوم إلى واحد من أكثر أحياء المدينة ازدحامًا وعشوائية، وهى المنطقة بأكملها التى قررت «روزاليوسف» اليوم أن تستقل آلة الزمن لتعود إليها وترصد تاريخها وأهم ملامح شخصيتها، وأشهر أبنائها وأبرز أحداثها منذ ميلاد العميد حتى غياب شمسه فى أكتوبر 1973.

■■

فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، اكتسبت مدينة مغاغة - ومن ثم المركز بأكمله - اكتسبت أهميتها من عدة محاور كان أولها وأهمها وقوع البندر على خط السكك الحديدية القادم من القاهرة حتى أسيوط، ثم ما تلاها من محطات ومدن فيما بعد وتمتعها بوجود محطة هى الأكبر منذ مغادرتك لمحطة الجيزة حتى وصولك إلى محطة المنيا، وكذلك لتلك المساحات الشاسعة التى تعدت الخمسين ألف فدان المنزرعة قطنا وقصبًا، وما واكب ذلك من تأسيس الخديو إسماعيل لعدد من «فواريق» السكر وعدد أكبر من محالج الأقطان وهو نشاط توسع فيه من بعد إسماعيل عدد من رجال الصناعة والاستثمار من الأجانب والمصريين على حد سواء، وهو ما نتج عنه ما يمكن أن نطلق عليه ثورة صناعية بالمنطقة تلاها بالتبعية ثورات وطفرات اجتماعية وثقافية وتعليمية بنفس القدر والحجم، حيث تواجدت فورًا جالية أجنبية كبيرة ومؤثرة عملت فى مجالات التجارة والسمسرة والخدمات من مقاه ومطاعم ولوكاندات وغيرها من النشاطات الخدَمية ذات النكهة الأوروبية، وقد واكب ذلك استقرار بعثتين تبشيريتين بالمنطقة واحدة إنجيلية وأخرى كاثوليكية قامتا بتشييد أقدم مدرستين أجنبيتين شمال الصعيد ضمت إحداهما - لفترات متقطعة - فصولا لتعليم الفتيات، وكان ذلك فى نفس توقيت إنشاء أول مدرسة ابتدائية أميرية - أى حكومية - بالمركز، ومع كل هذا الزخم الاجتماعى والتعليمى كان لا بُدّ أن تولد نهضة ترفيهية وفنية وثقافية لافتة للنظر وسابقة للزمن لتفاجئنا فى هذا التوقيت المبكر وقبل ميلاد القرن العشرين وثيقة مفرطة الندرة ننفرد بنشرها على العالم كله لأول مرة تقدم كشفا فنيًا وثقافيًا مذهلا.

الوثيقة عبارة عن رخصة صادرة فى أبريل 1895 إلى مواطن مصرى اسمه محمود صبرى لإنشاء «تياترو» أى مسرح فى بندر مغاغة وكانت الموافقة مشروطة بالتزام واحد هو التعهد بعدم السماح بممارسة أى نوع من أنواع القمار فى محل التياترو الذى كان وجوده يعنى وجود فرقة مسرحية تؤدى أعمالها عليه، ومهما كانت بساطة هذه الفرقة وتواضع إمكاناتها فهى فى نهاية الأمر تتويج مشرف لوضع بندر مغاغة.

ولدينا وثيقة أخرى ورخصة جديدة تخص يونانيًا قبرصيًا حاصلا على الجنسية المصرية، وهو الأمر الذى عرفناه من خلال ما هو مثبت فى الوثيقة ومتعلق بتبعيته الإدارية والقانونية لأن المكتوب أنه تابع للحكومة المحلية - أى

رخصة «قهوة» ليونانى مصرى

لويس عوض

المشير / محمد على فهمى

طه حسين

عندما ظهر اسم مغاغة إلى الوجود كان عمر عميد المبصرين لا يتجاوز بضعة شهور

الخديوية - وليس لجهة أجنبية أخرى.. صاحب الرخصة اسمه «بنايوتى حاج خورجى»، وقد تحصل على رخصة قهوة بملكه الخاص بشارع المحطة بتاريخ 3 يوليو عام 1907.

الرخص التى نعرضها ليست مقصورة على الأجانب، ولكنها تضم المصريين أيضا وفى نشاطات متنوعة ننقل منها هذه المرة رخصة صادرة إلى جزار فى مسقط رأس الدكتور طه حسين وهى عزبة الكيلو عام 1898 ومليئة بالبيانات والتفاصيل اللافتة للنظر وأولها التصنيف نفسه، حيث تحمل عنوان «محل مقلق للراحة أو مضر بالصحة أو خطر»، مما يشير إلى نشاط غير اعتيادى أو تقليدى، حيث كان يتم اعتبار محلات الجزارة من الأنشطة التى لها تأثير سلبى نوعًا ما على البيئة، واحتياجها إلى اشتراطات صحية مشددة ومثبت فى الرخصة اسم صاحبها، وهو «على خميس» الساكن بعزبة الكيلو بمغاغة وأيضا اسم صاحب المحل وموقعه وهو دكرورى إبراهيم، وكان موقع المحل «غرب البلد بالشارع العمومى»، ثم يأتى فى النهاية اعتماد مدير المديرية - المحافظ - ممثلا فى الخاتم الخاص به.

■■

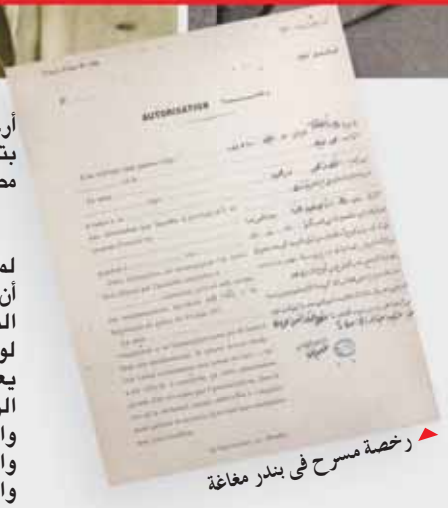

كان مركز مغاغة مسرحًا للعديد من القصص الواقعية التى تحولت إلى جزء من التراث الفنى والفولكلورى المصرى منها ما عاصره الدكتور طه صبيًا على أرض الواقع، ثم سجله فيما بعد فى أحد أعماله الأدبية مثل قصة «هنادى ومهندس الرى» التى أعطاها عنوان «دعاء الكروان»، وعرفتها جموع الشعب المصرى، بل العربى كله، من خلال الفيلم الذى حمل الاسم نفسه وقد جرت أحداث القصة فى قرية «بنى وركان» غرب مغاغة، ومن الجدير بالذكر أن عميد الأدب العربى قد أملى قصته على سكرتيره الخاص باستراحة وزارة المعارف بالمنطقة الأثرية فى «تونة الجبل» التى كان يعشقها وكتب عنها الكثير.

AUTORISATION

رخصة مسرح فى بندر مغاغة

من حكايات العشق الخالدة التى شهدتها مغاغة أو إذا شئنا الدقة قلنا إنها كانت شريكا أساسيًا فيها أحداث قصة حسن ونعيمة، فإذا كانت نعيمة ابنة لقرية «منشأة اليوسفى» التابعة لمركز بنى مزار المجاور فإن حسن المغنواتى هو ابن قرية «بنى واللمس» القريبة من «بنى وركان» غرب مغاغة، ومن المهم هنا التأكيد على أن أحداث القصة حقيقية بنسبة مائة بالمائة، كما خلدها الفيلم الشهير الذى كان البطولة والمشاركة الأولى فى حياة «السندريلا» سعاد حسنى» وجسدتها، كما جمع مادتها وكتبها الراحل الخالد جليل البندارى الذى طاف أرجاء القطر المصرى فى أعقاب ثورة يوليو بتكليف من وزارة الإرشاد القومى لجمع تراث مصر المحكى غير المسجل.

■■

امتدادًا للحديث عن الجانب الفنى والثقافى لمغاغة طه حسين، فإنه تجدر الإشارة إلى أن المنطقة كانت مفرخًا للعديد من العائلات المبدعة فى مجالات شتى مثل الشقيقين الدكاترة لويس عوض وأخيه رمسيس وأبناء الشارونى - يعقوب وإخوته - المبدعين بلا حدود فى مجالات الرواية والقصة القصيرة وأدب الأطفال والرسم والفن التشكيلى على وجه العموم والصحافة، والعائلتان - عوض والشارونى - من قرية واحدة هى «شارونة» ومن بندر مغاغة نفسه لدينا الثلاثى الفنى الشقيقات صفية وثريا وليلى حلمى، فالأولى هى صاحبة الكازينو التاريخى الشهير بكوبرى الإنجليز، ثم ميدان الأوبرا والثانية هى الممثلة والمنولوجست الشهيرة والثالثة كانت مطربة متميزة الصوت والأداء، لكنها ومع بداية شهرتها فى مصر قررت الارتباط بفنان عراقى هاجرت معه إلى بلاده، حيث أكملت مسيرتها الفنية هناك.

فى مجال الصحافة ومعارك القلم قدمت مغاغة - وحديثنا هنا مقصور على الزمن القديم - قدمت عددًا من الأسماء اللامعة، وتكفى الإشارة إلى أبناء مؤسسة «روزاليوسف» صلاح الدين حافظ ودرية الملطاوى والمفكرة الكبيرة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد التى كانت أول فتاة مصرية تحصل على المركز الأول فى نتائج شهادة البكالوريا - الثانوية العامة - وكذلك الدكتور حسن الملطاوى الذى كان يمتلك أكبر وأهم مكتبة خاصة فى صعيد مصر وواحدة من أكبر مكتبات مصر والعالم العربى حيث تضم أكثر من 30,000 كتاب الجانب الأكبر منها كتب وطبعات نادرة غير متوافرة حتى فى دور الكتب الرسمية.

وعلى مستوى القوات المسلحة نكتفى بالإشارة إلى المشير محمد على فهمى قائد سلاح الدفاع الجوى فى حرب أكتوبر المجيدة. ■

أغرب طرق العلاج من معانقة الأبقار إلى التدليك بالأفاعى

حيوانات بدرجة "دكتور نفسانى"!

آية رفعت

طيور أو قطط أو كلاب.. أيًا كان حيوانك الأليف الذى تقتنيه لا بُدَّ أنك قد شعرت بأن حالتك النفسية تتحسن إذا ما جلست لتراقبه يومًا كنت فيه مهمومًا.وإذا لم تكن تقتنى حيوانًا حتى الآن فبالتأكيد اختبرت ذات الشعور بالسعادة والارتياح ونسيان همومك بمجرد مشاهدتك لفيديوهات عن الحيوانات وتصرفاتها التلقائية.

الأمر الأكيد أن العديد من الدراسات أثبتت أن هذا الإحساس هو حقيقة علمية بل ووضعت أساليب للاستشفاء النفسى من خلال طرُق تعاملك مع الحيوانات لتصبح واحدة من أفضل وسائل العلاج النفسى للإنسان من التوتر وضغوط الحياة.

ومن أشهَر الطرُق التى أثبتت علميًا لعلاج التوتر لدى الإنسان وشعوره بالراحة والاسترخاء عن طريق استخدام الحيوانات الأليفة المختلفة، حتى وإن كان بعضها يبدو غريبًا إلّا أن هذه الدراسات تم تطبيقها ونجحت بالفعل.

■ شاهد.. إن لم تكن تقتنى

أكدت عشرات الدراسات أن مشاهدة الحيوانات أثناء تلقائيتها فى اللهو ومراقبة حركاتها وسعادتها هى الأكثر تأثيرًا على تخفيف توتر الإنسان؛ حيث أعلنت آخر تلك الدراسات، التى أجريت

فى سبتمبر الماضى بجامعة «ليدز» البريطانية، أن لهذه الحيوانات تأثيرًا كبيرًا على تخفيف ضغط الدم والانفعال لدى الأشخاص؛ خصوصًا بعد عرض مَشاهد لحيوانات تتسم بالسعادة الدائمة مثل حيوان «الكوكا» الذى يتميز بابتسامته الجميلة؛ حيث أجريت الدراسة على مجموعة من الطلبة الذين يستعدون للخضوع لامتحان مهم، وأيضًا على عدد من الموظفين الذين يعانون من التوتر النفسى. وقد استطاع «الكوكا» وحده تخفيف نسبة التوتر لما يصل إلى 50% بعد مشاهدة فيديوهات له لمدة 30 دقيقة فقط.

وقد أثبتت دراسات أخرى بالولايات المتحدة تم إجراؤها على عدد من مرضَى الاكتئاب والتوتر العصبى، أن لمشاهدة فيديوهات الحيوانات أثرًا كبيرًا فى علاجهم؛ حيث عرضوا عليهم فيديوهات لبعض الحيوانات المفضلة لهم مثل الكلاب أو القطط وغيرها من الحيوانات الأليفة، وقد أظهرت الفيديوهات الجانب المرح لدى هذه الحيوانات مما تسبب فى إسعاد المرضى والتخفيف عنهم بشكل كبير.

■ احتضان الأبقار الهولندية

العناق أو «الحُضن» من أكثر العلامات الجسدية التى تعبر عن الحب وتُشعر الإنسان بالود والدفء وتخفف من أعبائه. فهناك عددٌ من الدراسات التى أثبتت تأثير «الحُضن» القوى على تخفيف توتر الإنسان؛ خصوصًا إذا طالت مُدة العناق لعدة دقائق. بينما أثبتت دراسات أخرى أن العناق الأكثر فاعلية هو عناق الإنسان لحيوانه الأليف.

ليس مجرد اقتناء حيوان أليف بالمنزل، بل إن عددًا من الدراسات التى تم اعتمادها مؤخرًا فى دولة هولندا أكدت أن هناك ما يسمى بـ«حضن الأبقار» من ضمن الطرُق المعتمدة فى تخفيف التوتر الداخلى للإنسان؛ حيث أعلنوا أن هناك نظرية تطبق بنجاح تسمى «KOE KNUFFELEN» أو معانقة الأبقار بالهولندية.. وقد خضع لها عددٌ كبيرٌ من الأشخاص ونجحت فى معالجتهم نفسيًا.

وتعتمد تلك النظرية على حجم الأبقار الكبير والدفء الذى يحتويه جسدهم، مما يساعد فى تقليل التوتر وإفراز هورمون «الأوكسيتوسين» الذى يؤدى إلى التقليل من الإجهاد. بالإضافة إلى أن نبض قلب الأبقار الذى له تأثير مهدئ على البَشر.. مما دفع عددًا من المزارعين فى هولندا لفتح مزارع الأبقار النادرة أمام الزُوّار لعناقهم كنوع من العلاج النفسى.

كما أثبتت إحدى دراسات علم النفس الأمريكية فى عام 2017م أن لاقتناء

عشرات الدراسات تؤكد أن مشاهدة الحيوانات أثناء اللهو تساعد على تخفيف توتر الإنسان

«القطط» الأليفة بشكل خاص أثرًا إيجابيًا على نفسية الإنسان؛ حيث أثبت علميًا أن صوت القطط «النونوة» هى أكثر الأصوات التى تتسبب فى سعادة واسترخاء أعصاب الإنسان وتعمل على علاج التوتر، بل تم استخدامها كعلاج للأرَق على أكثر من مريض ونجحت بالفعل.

بينما تستطيع القطط أن تداعب الإنسان بدلال وتصدر صوتًا يُسمى بـ«الخرخرة»، وهو صوت داخلى يصدره القط عندما يشعر بالسعادة وينتقل هذا الصوت للإنسان ليشعره بالحب والسعادة أيضًا مما جعل أغلب الباحثين يطبقون تلك النظرية على مرضى الاكتئاب ونصيحتهم باقتناء قط صغير ليملأ حياتهم ووقتهم.

■ أغرب الطرُق لعلاج التوتر

بجانب المصحات النفسية توجد أماكن مخصصة لعلاج التوتر والأرق وغيرها من الأمور التى تؤثر سلبًا على الإنسان، ولكن من خلال حيوانات غريبة مثل التحدث إلى الببغاء المتكلم لمدة نصف ساعة؛ حيث إن هناك دراسات أثبتت أن الحديث لهذا الببغاء قد يشعرك بالسعادة نتيجة لذكائه وامتلاكه طاقة كوميدية.

بينما هناك مراكز فى روسيا قامت بتدريب حيوان «الراكون» لتطبيق نظرية تسمى «بالراكونثرابى»، وهى التى تؤكد أن حيوان الراكون له تأثير كبير فى جذب الناس والزوار وتخفيف التوتر.. وكذلك الأمر بالنسبة للصين؛ حيث إن هناك مزارات مخصصة لعلاج التوتر، التى يعتبر حيوان «الباندا» الصغير هو البطل الأساسى فيها. وذلك بعد نجاح التجارب التى أجريت على مشاهدى فيديوهات صغار الباندا التى تتمتع بحس فكاهى طفولى عال.

وبعيدًا عن الحيوان هُناك طرُق هى الأغرب فى استخدام الكائنات الحية فى علاج التوتر؛ حيث إن هناك أماكن تتيح التدليك بالأفاعى.. وأكدت دراسات على أن عضلات الأفاعى قد تشعر جسم الإنسان براحة كبيرة كما أنها الأفضل فى عمليات التدليك البدنى. وكذلك الأمر بالنسبة للعناكب؛ حيث يقوم البعض باستخدام العناكب الضخمة غير السامة فى علاج التوتر والاكتئاب من خلال سيرها على جسد الإنسان بشكل عشوائى، مما يجعله يشعر بالراحة لتركيزه على حركتها السريعة. ■

حكاية الرقص الشرقى

3
الحلقة الثالثة

حكمت فهمى وببا وسامية جمال وتحية كاريوكا ونجوى فؤاد

الرقص على مسرح السياسة

شاءت الصُّدفة أن تلعب بعضُ الراقصات الشهيرات دورًا سياسيّا رُغم أنوفهن.

كل راقصة من هؤلاء كان كل حلمها أن تكون راقصة تمتع جمهورها ومشاهديها، سواء فى الملهَى الذى كانت تعمل به أو على شاشة السينما من خلال الأفلام التى شاركن فيها كراقصات.

لكن الصُّدفة هى التى جعلت البعضَ يحتك بالسياسة فى أدوار مهمة ومؤثرة.

حلقات تكتبها:
إيمان القصاص

■ **حكمت فهمى والألمان**

كانت راقصة شهيرة جميلة ولها قوام ممشوق، ملامحها مصرية، كانت رائدة فى الرقص الشرقى، رقصت فى الفترة من 1937م إلى عام 1939م فى قصور ملوك أوروبا وزعمائها، ورقصت أمام هتلر وموسولينى وجورنج جوبلز وغيرهم، وبعد رجوعها إلى مصر تولت بطولة فرقة بديعة مصابنى براتب 30 جنيهًا، كما وُرد فى كتاب «راقصات مصر».

سجِنت حكمت فهمى لمدة عاميْن فى قضية التجسُّس مع الألمان، وتحكى هذه القصة فى مذكراتها قائلة:.. بدأت القصة فى العاصمة النمساوية فيينا؛ حيث كنت أرقص فى ملهى «الفيمنا»، وكان هناك شاب ظل يطاردنى بعربته يومين متتاليين ويخاطبنى باللغة العربية مقدمًا نفسه لى على أنه طالب مصرى يدرس بألمانيا، ثم دعانى لتناول الغداء فقبلت دعوته.. ووصفته أنه «كان وسيمًا وجذابًا وبشرته خمرية ولبقًا وشيق الحديث، إلا أنه كان يمتلك غموضا مبهمًا، وافترقنا ووعدنى بالحضور إلى محل عملى فى اليوم التالى ولم يحضر واختفى فى ظروف غامضة إثر اجتياح هتلر لأراضى النمسا»، الأمر الذى عجَّل بهروب حكمت من تلك المدينة تاركة وراءها الشاب الذى وقعت فى هواه من أول نظرة، ولم تكن تعرف أنه الشاب الألمانى «هاينز أبلر» الذى نجحوا فى زراعته فى القاهرة.

> **حكمت سجنت بتهمة التخابر لصالح الألمان لمدة عامين**

كانت المخابرات الألمانية فى ذلك الوقت عينها على حكمت فهمى وتم اختيارها لتكون أول راقصة تعمل فى فندق الكونتننتال أشهَر فنادق القاهرة فى ذلك الوقت، وتم ترتيب الميعاد الثانى فى الفندق لاستكمال المشوار؛ وتعترف «حكمت» فى مذكراتها أن المقابلة الثانية كانت مدبرة، وكانت هذه المقابلة هى بداية التعاون المباشر مع المخابرات الألمانية ضد قوات الاحتلال البريطانى فى مصر.

وقد أسفر ذلك التعاون عن تنفيذ العديد من المهام الخطيرة، ولكن كان حظها سيئًا وسريعًا انكشف أمرُها وتم القبض عليها وإيداعها فى سجن الأجانب مع «أنور السادات وحسن عزت والفريق عزيز المصرى» وبعض المتعاونين الآخرين من المصريين مع الألمان، وظلت بالسجن نحو عامين ونصف العام، وبعد خروجها حاولت أن تعود للأضواء مرّة أخرى، ولكنها فشلت فى ذلك وقررت الابتعاد والإقامة مع ابنها إلى أن رحلت عام 1976م.

■ ببا عز الدين «ضحية القصر»

لقيت الراقصة اللبنانية الأصل ببا عز الدين مصرعها أثناء عودتها من حفل لها بالإسكندرية فى أوائل الخمسينيات؛ حيث انقلبت بها السيارة، وقيل وقتها إن الحادث مدبر من قبل القصر الملكى، ولكن حدث معها عن طريق الخطأ، فالذين كانوا يودّون الخلاص منه هو الدكتور عزيز فهمى، أحد قيادات حزب الوفد فى ذلك الوقت.

كان الدكتور عزيز ثائرًا على الأوضاع السياسية وكان نائبًا فى مجلس النواب عن حى الجمالية وكان معارضا قويًا للقصر.

كانت ببا عز الدين تمتلك سيارة نفس ماركة ولون سيارة الدكتور عزيز، مما أحدث التباسًا على منفذى الجريمة وحدثت بَلبَلة فى ذلك الموضوع والعديد من الأقاويل، والغريب أنه لم يتم تكذيب أىّ من هذه الأخبار من جانب القصر الملكى، والذى أكد صحة الخبر أنه بعد هذه الجريمة بأسبوع تم الخلاص من الدكتور عزيز بالطريقة نفسها.

■ تحية كاريوكا المناضلة

لعبت دورًا سياسيًا قويًا، واعتقلت بسبب منشور سياسى بعد ثورة 1952م بعنوان «ذهب فاروق وأتى فواريق»؛ لتمكث فى السجن 101 يوم حسبما جاء فى كتاب «فنانات فى الشارع السياسى» للكاتب حنفى المحلاوى.

وتحدثت «كاريوكا» عن بداية شغفها واهتماماتها السياسية فقالت فى كتاب «راقصات مصر» للكاتب جليل البندارى: «أنا ثورية مثل كل أبناء «القناة» مدينة الإسماعيلية، فعمِّى قد شنقه الإنجليز ويوم دفنه زغردت نساءُ العائلة فرحًا باستشهاده، وعلاقتى بالوطنية بدأت من خلال حرب 1948م، وكنت أساعد الفدائيين بالمال والعمل، وكنت أحمل «طوربيدًا» لا يستطيع حمله الرجال فى باطن السيارة وكنت أدخل بها إلى أرض أختى الواقعة فى منتصف معسكرات الإنجليز التى أطلقوا عليها فيما بعد «تبة مريم» نسبة إلى أختى التى خبّأت فى يوم من الأيام الرئيسَ أنور السادات بعد اتهامه فى حادث مقتل أمين عثمان.

وحكاية علاقتها بالرئيس الراحل أنور السادات عن طريق أختها مريم الذى حمته فى منزلها هربًا من الاعتقال على إثر اشتراكه فى حادث اغتيال رجل الإنجليز الأول «أمين عثمان» وزير المالية فى حكومة مصطفى النحاس، وكانت تسكن مريم أمام معسكرهم ولم يتخيل أحدٌ أن السادات يختبئ فى مكانهم لمدة عام كامل، وفى يوم كان معى فى سيارتى ولم يشعر منهم أحد».

لم تكتف تحية كاريوكا بهذا الدور السياسى ولا بفرقة المَسرح السياسى التى كوّنتها مع زوجها فى ذلك الوقت الفنان فايز حلاوة، ولكن كان لها دور نقابى قوى يشهد له، عندما انتخبت لأول مرّة عضوًا فى مجلس إدارة نقابة الممثلين عام 1955م، وقد رد لها اعتبارها بعد فترة اعتقالها.

سامية جمال: دَبّر لها الملك فاروق الزواج من شبيرد كينج والإقامة فى الولايات المتحدة

وواصلت العمل فى هذا المجال بحزم، وفى عام 1981م تم اختيارها وكيل النقابة ثم نقيبًا للمهن التمثيلية لمدة 15 يومًا لحين اختيار النقيب الجديد، وقد رشح زوجها فايز حلاوة نفسَه لمنصب النقيب فى هذه الانتخابات، وفى عام 1987م رشحت نفسَها نقيبة لاتحاد النقابات الفنية أمام سعد الدين وهبة.

■ سامية جمال راقصة مصر الرسمية

الجميع كان يعلم علاقتها بالملك فاروق رُغْمَ نفيها الدائم لها، فاختارها لتكون راقصة مصر الرسمية، وكانت شاهدة على العديد من الأحداث السياسية بحُكم تواجدها فى قصر عابدين، وكانت تحضر معه بعض لقاءاته ببعض الزعماء السياسيين، وكان فاروق فى تلك الفترة منفصلاً عن الملكة فريدة، وحلمت سامية أن تحل محلها، ولكنه فضّل عليها الملكة ناريمان وقرر الخلاص منها بإبعادها عن مصر ودبّر لها زواجها من الأمريكى «شبيرد كينج»، وأقامت فى الولايات المتحدة وظلت هناك نحو عام ونصف العام ترقص فى الملاهى والكازينوهات، وبعد قيام ثورة 52م طلبت الطلاق وعادت إلى مصر وتزوجت الفنان رشدى أباظة لمدة 17 عامًا، وكان هو قصة حبّها الحقيقية وتخلت عن كل شىء بسببه وضحّت بفنها لكى تكون له زوجة متفرغة لحياته وعمله.

■ نجوى فؤاد ووزير الخارجية الأمريكى

جاء كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى إلى القاهرة لإجراء محادثات مكثفة لبدء المفاوضات بين مصر وإسرائيل «كما وُرد فى كتاب اعترافات راقصة مصر الأولى»، وأقيم له حفل ساهر بالأهرامات وقدمت وصلة الرقص نجوى فؤاد وكان مشهورًا بغرامياته، وافتتن بنجوى للغاية وطلب أن يصافحها، وتوالت زياراته إلى مصر وحقق نجاحًا سياسيًا هائلاً، وفى كل مرّة يحرص على مشاهدة رقصات نجوى فؤاد التى دعاها لتقديم لوحاتها الراقصة فى الولايات المتحدة، وكانت قفزة كبيرة فى مشوارها؛ خصوصًا أنها كانت دعوة مفتوحة، وقيل وقتها إنه عرَض عليها الزواج.

وكان هناك سؤال حائر فى ذلك التوقيت يشغل بال الكثيرين: لماذا استبدلت فيفى عبده بنجوى فؤاد وقفز اسمها مرّة واحدة وأصبحت نجمة الحفلات الدبلوماسية والسياسية؟ والإجابة هنا لدى الفنان سمير صبرى الذى كان يقدّم برنامجًا تليفزيونيًا بعنوان «النادى الدولى»، واستضاف فى إحدى حلقاته فيفى عبده وأثناء حديثها قالت إنها من مواليد قرية الرئيس المؤمن أنور السادات وأن قرية ميت أبو الكوم بالمنوفية لا تنجب غير العباقرة والموهوبين.

انقلبت حياة فيفى عبده رأسًا على عقب بعد هذا التصريح الذى شاهده الرئيس السادات وزوجته جيهان السادات التى ثارت ثورة عارمة، واضطر الرئيس لاتخاذ عدة قرارات لإرضائها، وتم إيقاف البرنامج ومنعت فيفى عبده من حضور جميع الحفلات التى يحضرها الرئيس وكبار ضيوف الدولة، وتم استبدالها بنجوى فؤاد. ■

روز2

يرسمها:
مصطفى سالم

هو..

ترسمها:
ياسمين مأمون

وهى